الأساليب الإنشائية في سورة غافر

دراسة حجاجية في ضوء نظرية البلاغة الجديدة

د. أسماء بنت صالح بن مطلق العمرو (*)

ملخص الدراسة

تناولت الدراسة دور الآليات الحجاجية وإستراتيجيات الخطاب الحوارية في دلالات الأساليب الإنشائية ومقاصدها في سورة غافر، وقد انطلقت الدراسة من المفاهيم النظرية للحِجَاج والخطاب وإستراتيجياته التداولية، إلى تطبيقها على أمثلة الإنشاء وأساليبه في السورة الكريمة، وقد تجلت حجاجية التراكيب الإنشائية المتنوعة في سورة غافر بورودها ضمن مجموعة من المحاورات بين طرفين متعارضين ومتباينين يشكلان طرفي نقيض في العقيدة والفكر والتصور؛ مما أضفى على تحليلات الدراسة شيئًا من المزاوجة بين الدرسين اللساني الأسلوبي، والحجاجي البلاغي.

هدفت الدراسة إلى إبراز مقاصد الأساليب الإنشائية في خطاب الحوار في سورة غافر، وإستراتيجياته، وفق المنهج التداولي الذي يهتم بكل عناصر السياق ولوازم التخاطب وظروفه، وإبراز الغايات الحجاجية في كل تركيب إنشائي مستعمل؛ ولهذا انقسمت الدراسة إلى مبحثين، تناول المبحث الأول الأرضية النظرية لعرض مفاهيم الدراسة، ومثَّل المبحث الثاني تطبيقا للآليات اللغوية الحجاجية وما تحمله من مقاصد حجاجية وإستراتيجيات خطابية؛ وذلك على الأساليب الإنشائية (الطلبية وغير الطلبية) في السورة الكريمة.

وخلصت الدراسة إلى العديد من النتائج أبرزها: أن الحِجَاج هو الإستراتيجية الحوارية الأبرز في أساليب الإنشاء في سورة غافر، كما أنه أكثر الأدوات فاعلية في عملية الإقناع؛ لأنه حوار تفاعلي يقوم على علاقتين؛ هما الاستدلال والجدل. ومثَّل الحوار في أساليب الإنشاء في سورة غافر آلية تواصلية حجاجية يسعى المتحاورون من خلالها إلى توصيل الأفكار، وإقناع الطرف الآخر وتسليمه بها، شرط أن يقوم الحوار

(*) أستاذ مشارك في تخصص البلاغة والنقد، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية اللغات والعلوم الإنسانية –جامعة القصيم.

على الصدق والنزاهة والوضوح، وهو شرط مسبق ولازم لتحقيق الفهم المتبادل والاقتناع، كما اعتمد الحوار في أساليب الإنشاء في سورة غافر على مبدأ التصاعد التدريجي؛ إذ تُستدعى من خلال إستراتيجياته الموظفة الحجة من طرف المتكلم لإقناع المخاطب بمضمون الكلام، ومن طرف هذا المخاطب لدحضها وعدم الإذعان لمدلولها.

مقدمة:

الحمد لله حمدًا كثيرًا، والصلاة والسلام على أشرف خلق الله وخاتم الأنبياء والمرسلين محمد صلى الله عليه وسلم وصحبه أجمعين إلى يوم الدين، أما بعد:

يمثل القرآن الكريم نصا معجزا في بلاغته، وفي أساليبه وألفاظه وإستراتيجياته في تبليغ الحكم والمقاصد، ولا شك في أن هذه المقاصد القرآنية إنما تعود في جملَتها وتفصيلها تصريحًا وتضمينًا إلى هدي القرآن وتعاليمه وتوجيهاته. وبالنظر في سورة غافر – مدونة البحث– يظهر أن كثيرا من آياتها قد تضمن أساليب إنشائية متنوعة للحجاج، وقد اشتملت تلك الأساليب على تنوعها بين الإنشاء الطلبي وغير الطلبي على آليات حجاجية لغوية وبلاغية ومنطقية؛ حيث تمتاز السورة الكريمة باحتوائها على موضوعات حجاجية متعددة، مثل: الصراع بين الحق والباطل، والإيمان والكفر، والحديث عن قصة النبي موسى عليه السلام مع فرعون، ومحاجة مؤمن آل فرعون لقومه، إضافة إلى أنه تم توظيف تلك الأساليب الإنشائية (طلبية وغير طلبية) من خلال مجموعة من الإستراتيجيات الخطابية التي تكشف عن مقاصد المرسل، وتثبت دعواه من جانب، وتبين الجانب التأثيري الإقناعي لهذه المقاصد على المخاطب المتلقي من جانب ثانٍ.

إشكالية الدراسة:

لقد حفلت سورة غافر على العديد من الحوارات التي بنيت على إستراتيجيات خطابية مختلفة المقاصد، ولعل الحجاج وآلياته الإقناعية هي أبرز تلك المقاصد، ونظرا إلى أن هذه الحوارات قامت في الأساس على المواجهة فقد تضمنت العديد من الأساليب الإنشائية الطلبية وغير الطلبية، ومن هنا تتأسس إشكالية البحث، وهي تتمثل في الإجابة عن السؤال الرئيسي الآتي: **كيف تطبق الآليات الحجاجية في الأساليب الإنشائية في سورة غافر؟ وكيف يتم توظيف إستراتيجيات الخطاب التي تأسست عليها البنية الحجاجية لأساليب السورة الكريمة الطلبية وغير الطلبية؟**

تساؤلات البحث:

يندرج تحت السؤال الرئيسي أسئلة فرعية، هي:

– ما المقصود بآليات الحجاج وإستراتيجيات الخطاب الحجاجي؟

– كيف تتجلى تلك الآليات والإستراتيجيات في الأساليب الإنشائية في سورة غافر؟ وما ملابساتها السياقية والتداولية؟

– كيف يمكن الربط بين إستراتيجيات الخطاب الحجاجي بمفهومها التداولي في سورة غافر، وأساليب الدعوة في السورة الكريمة بمفهومها الديني؟

– ما الإضافة التي يمكن أن تضيفها الدراسات الحجاجية في نظرية البلاغة الجديدة في الكشف عن مقاصد السورة الكريمة؟

أسباب اختيار موضوع البحث:

مما دفعني إلى اختيار هذا الموضوع أسباب عدة، لعل أهمها:

– توافر الدراسات البلاغية القديمة على قدر كبير من المفاهيم التداولية المرتبطة بنظرية الحجاج الحديثة.

– الرغبة في دراسة النص القرآني ممثلا في سورة غافر دراسة حجاجية، بما يمكن أن يأتي بنتائج تعيد تشكيل تصورات عديدة لمجالات إعجاز القرآن الكريم.

– توافر سورة غافر على بنيات استدلالية حجاجية تهدف إلى إقناع المتلقي.

– بيان أهمية التحليل الحجاجي لآيات السورة وأساليبها.

– ما تتميز به البلاغة الجديدة من تنوع في الاتجاهات الأسلوبية والحجاجية والنصيّة الحديثة.

أهمية البحث:

تأتي أهمية هذا الموضوع من جهة ما يلي:

– دراسة المفاهيم البلاغية القديمة عبر المدلول المعرفي الحديث للبلاغة الجديدة، من خلال التطبيق على مبحث الأساليب الإنشائية الطلبية وغر الطلبية.

– تتبع خواص تراكيب الأساليب الإنشائية، والكشف عن بلاغتها التداولية والحجاجية التي تتجاوز تراكيبها النحوية.

– دراسة التركيب الإنشائية وفق أحدث اتجاهات البلاغة الجديدة؛ كالحجاج، وأسلوبية الانزياح، وتداولية الخطاب.

- إبراز الجوانب الحجاجية الاستدلالية، والأسلوبية الانزياحية المتجلية في التراكيب الإنشائية في البلاغة العربية، بما يتجاوز أبعادها التركيبية النحوية.
- بيان تأثير اتجاهات التحليل في نظرية البلاغة الجديدة في الكشف عن المقاصد الدلالية لأساليب الإنشاء الطلبي وغير الطلبي في سورة غافر.

أهداف البحث:

تكمن أهداف البحث في النقاط الآتية:

- رصد مفهوم الحجاج وتتبعه في الدرسين القديم والحديث.
- دراسة وتحليل البنية الحجاجية لسورة غافر، وبخاصة في الأساليب الإنشائية.
- إبراز الجوانب الحجاجية الاستدلالية المتجلية في الأساليب الإنشائية في سورة غافر.
- البحث عن أنماط الحجاج، وآلياته الإجرائية في السورة.
- بيان تأثير إستراتيجيات الخطاب في الكشف عن مقاصد المتكلمين الحجاجية في السورة.
- تأكيد توافر الحجاج في لغة النص القرآني، والوقوف على مدى تأثيرها في المخاطبين لتحقيق الغايات الدينية.

الدراسات السابقة:

سبقت هذه الدراسة مجموعة من الدراسات التي تناولت موضوع الأساليب الحجاجية في سور القرآن الكريم، من خلال وجهات قرائية وتحليلية متنوعة، ولعل من أبرز ما وقفت عليه من هذه الدراسات ما يلي:

١- **دراسة آمنة عوض الكريم محمد (٢٠١٢م) بعنوان (أساليب الحجاج في القرآن الكريم من خلال سورة الإسراء إلى سورة يس)، بحث مقدم لنيل شهادة الماجستير في العقيدة من كلية أصول الدين، جامعة أم درمان، جمهورية السودان.** هدفت الدراسة إلى دراسة الحجاج في القرآن من وجهة نظر عقائدية وليس بلاغية أو لغوية.

٢- **دراسة إيمان درتوني (٢٠١٣م) بعنوان: (الحجاج في النص القرآني سورة الأنبياء أنموذجا)، بحث مقدم لنيل شهادة الماجستير في اللغة العربية من كلية الآداب واللغات، بجامعة الحاج لخضر باتنة، الجزائر.** هدفت الدراسة إلى بيان دلالة الحجاج في القرآن الكريم ممثلا في سورة الأنبياء، من خلال ظهوره بمعانٍ مختلفة كالحوار، والجدل، والمناظرة، ولتحقيق غاية واحدة هي محاولة استمالة وإقناع المتلقي والتأثير فيه.

٣- **دراسة هاجر أحمد رشيد المومني (٢٠١٥م) بعنوان: (تداولية أدب الخطاب واستراتيجياته في سورة غافر)، رسالة دكتوراه من كلية الآداب، جامعة اليرموك، الأردن.** هدفت الدراسة إلى كشف فاعلية المنهج التداولي في دراسة النص القرآني ممثلًا في سورة غافر، وأثر هذا المنهج في تأويل أدب الخطاب في السورة، من خلال تسليط الضوء على جميع عناصر ومكونات الخطاب، من مرسل ومتلقٍّ وسياق وأفعال لغوية وغير لغوية.

٤- **دراسة عمار عمر السواح (٢٠١٦م) بعنوان (أساليب البلاغة الحجاجية التواصلية في النص القرآني)، بحث مقدم لنيل شهادة الماجستير في اللغة العربية من كلية الدراسات العليا – الجامعة الأردنية.** هدفت الدراسة إلى الكشف عن تنوع الأساليب الحجاجية في القرآن الكريم، وقد قسمها إلى: أساليب نفسية- أساليب صوتية- أساليب لغوية.

٥- **دراسة عبير عبد العزيز السهلاوي (٢٠١٧م) بعنوان (الأسلوب الحجاجي للحوار في سورة غافر دراسة تداولية)، منشورة في حوليات آداب عين شمس، القاهرة، المجلد ٤٥، عدد إبريل- يونية ٢٠١٧م.** سعى البحث إلى التوقف عند الأسلوب الحجاجي للحوار في القرآن الكريم من خلال سورة غافر، وذلك بالانطلاق من أن النص القرآني ذو طبيعة حوارية، وأن الحوار هو المجال الطبيعي للحجاج في إثبات دعوة الحق بالحجج والبراهين.

تعقيب على الدراسات السابقة:

لم تقف الباحثة على دراسة قامت بالربط بين الأساليب الإنشائية الطلبية وغير الطلبية في البلاغة العربية القديمة بمفاهيم ونظريات البلاغة الجديدة، وبخاصة في الجانب الحجاجي، أو جانب إستراتيجيات الخطاب؛ حيث جاءت هذه الدراسة للبحث في الأدوات الإجرائية المتبعة في معالجة الجمل الإنشائية التي وظفتها سورة غافر في مقامات متنوعة، إضافة إلى إظهار توافر مقاصد السورة الكريمة على المعاني التواصلية والأغراض التخاطبية لهذه الاستعمالات الإنشائية، وهذه المعاني من وجهة النظر الحديثة لمقومات البلاغة الجديدة وأبعادها الحجاجية والتداولية تشكل ملمحا سياقيا يعرف بالقوة الإنجازية، وهو من أهم المبادئ التي تقوم عليها نظرية أفعال الكلام التداولية، وهذا ما توصلت له هذه الدراسة بعد تسليط الضوء على أساليب الإنشاء الطلبي وغير الطلبي، ومقاصدها الضمنية المتنوعة.

منهج البحث:

نظرًا لخصوصية الموضوع الذي يجمع بين التنظير التداولي والتطبيق القرآني، فقد اعتمدتُ المنهج التداولي بوصفهِ يتجاوز المستوى الدلالي، فضْلًا عن المنهج الوصفي الذي قوامه تتبع تأويلات العلماء مع الشرح والتعليل، وذلك من خلال تتبع واستقراء آيات سورة غافر، والأساليب الإنشائية التي تضمنتها، واستنباط مظاهر الحجاج وآلياته وتوظيف إستراتيجياته في تحقيق الغايات المختلفة، ودراستها دراسة حجاجية، وذلك بالرجوع إلى المصادر والمراجع التفسيرية المختلفة.

المبحث الأول: تحديد مفاهيم الدراسة

أولا: تعريف الأساليب الإنشائية:

حظيت دراسة الأساليب الإنشائية في الدراسات الأدبية والنقدية باهتمام كبير في القديم والحديث، وقد تعددت المفاهيم والتعريفات التي حاولت التأصيل لمفهوم الأسلوب؛ إذ إن الحديث عن الأسلوب قديم جدًّا، وهو من الألفاظ الشائعة على الألسنة كقولنا فلان أسلوبه شيق وممتع ومألوف، ومن ثم تتبادر إلى أذهاننا عبارة (الأسلوب هو الرجل) التي ذاع صيتها وتناقلها النقاد والباحثون، فصار يفهم منها أن الأسلوب هو مرآة الشخصية والطريقة التي يستخدمها لنقل فكرة أو أمر معين، فإذا أردنا دراسة الأسلوب وتحديد مفهومه، فلزامًا علينا "أن نربط ذلك بعناصر الاتصال وهي المؤلف والقارئ والنص لأن دراسة الأسلوب لا تتم بمعزل عنها" (أبو حميدة، ٢٠٠٠م، ص٨).

وتنقسم الأساليب إلى قسمين: الأساليب الإنشائية، الأساليب الخبرية، وفي هذا الفصل سوف يتناول البحث الأساليب الإنشائية في القصة القرآنية في سور النمل والشعراء والقصص، وتنقسم الأساليب الإنشائية إلى قسمين: إنشائي طلبي وإنشائي غير طلبي.

– الإنشائي الطلبي: يطلب فيه من المخاطب أن يؤدي شيئًا معينًا؛ إذ "يستدعي مطلوبًا غير حاصل في اعتقاد المتكلم وقت الطلب" (الهاشمي، د ت، ص٧٠). ويشمل الأمر والنهي والنداء والتمني والاستفهام، وقد "اهتم البلاغيون بدراسة الإنشائي الطلبي ووجههم في ذلك أنه كثير الاعتبارات، وتتوارد عليه المعاني التي تجعله من الأساليب الغنية ذات العطاء والتأثير على حد ما... وهذا بخلاف الإنشاء الذي ليس وراءه طلب فليست أساليبه مما تتوارد عليه المعاني (أبو موسى، ١٩٨٧م، ص١٩٢).

– الإنشائي غير الطلبي: "وهو ما لا يستدعي مطلوبًا غير حاصل وقت الطلب كصيغ المدح والذم والعقود والقسم والتعجب والرجاء" (الهاشمي، د ت، ص ٦٩). أي أنه لا يُطلب من المخاطب أن يفعل شيئًا، وهذا النوع من الأساليب الإنشائية غير الطلبية لا يهتم بها البلاغيون "لأنها عند بعضهم أخبار نقلت إلى ميدان الإنشاء" (سلطاني، ٢٠٠٨م، ص٢٩).

والإنشاء هو الكلام الذي لا يحتمل التصديق أو التكذيب، فهو ما يتوقف تحققه على تلفظ المتكلم به. إذن فالإنشاء كل كلام لا يصح أن يقال لصاحبه إنه كاذب أو صادق؛ وذلك لأن عدم احتمال الأسلوب الإنشائي للتصديق والتكذيب إنما هو بالنظر إلى ذات الأسلوب بغض النظر عما يستلزمه (عباس، ١٩٩٧م، ص١٠٠).

ثانيا: مفهوم الحجاج في البلاغة الجديدة:

الحجاج في اللغة: الحجة: البرهان، وقيل: الحجة ما دوفع به الخصم، وقال الأزهري: الحجة الوجه الذي يكون به الظفر عند الخصومة، وهو رجل محجاج؛ أي جدل. والتحاج: التخاصم، وجمع الحجة: حجج وحجاج. وحاجه محاجة وحجاجًا: نازعه الحجة. وحجه يحجه حجًّا: غلبه على حجته» (الرازي، ١٩٨٩م، ص٥٨٠).

يتضح من خلال ما سبق أن الدلالة المعجمية للحجاج تدور حول معاني التنازع والتخاصم والمغالبة بواسطة أدلة وبراهين بين طرفين هما: المحاجج والمحجوج؛ أي المتكلم والمتلقي، وسعي كل طرف لإقناع الآخر بأفكاره وآرائه والتأثير فيه بحججه وأقواله، فيصير الحجاج معبرا عن "كل منطوق به موجه إلى الغير لإفهامه دعوى مخصوصة يحق له الاعتراض عليها" (عبد الرحمن، ١٩٩٨م، ص ٢٢٦).

فعلى هذا يكون الحجاج دائرًا في سياقات التخاصم والتنازع، وذلك من خلال استعمال الدليل والبرهان، فالمحاجج يشترك مع الطرف الآخر في عملية فكرية تواصلية، يعمد فيها إلى استعمال الدليل والبرهان لغاية معينة أو مقصودة لذاتها أثناء الحجاج، فيكون مرادفًا للجدل.

الحجاج في الاصطلاح: لا يمكن قصر الحجاج على الخطابات اللغوية فحسب، وإنما "هو بعد ملازم لكل خطاب على وجه الإطلاق، والسبب في ذلك أن كل خطاب حال في اللغة تمنحه هذه الأخيرة العناصر الأولية والقاعدية لكل حجاج، أي عناصر الاستدلال والتدليل... حتى إن العديد من حقول المعرفة الإنسانية يسعى كل منها إلى ضم الحجاج إلى حظيرته الخاصة والاستفادة من إمكاناته. وهذا ما جعل مفهوم الحجاج يُطعم بمفاهيم ووظائف وتنظيرات مختلفة ما زالت في تجديد مستمر" (أعراب، ٢٠٠١م،

ص ١٠٠). وقد اكتسب الحجاج في كل خطاب منها فاعلية تداولية جدلية؛ "فهو تداولي لأن طابعه الفكري مقامي واجتماعي، وهو أيضا جدلي؛ لأن هدفه إقناعي قائم بلوغه على التزام صور استدلالية أوسع وأغنى من البنيات البرهانية الضيقة" (عبد الرحمن، ١٩٩٨م، ص ٦٥).

وقد جاء التعريف الاصطلاحي للحجاج في التراث تابعا لمفهومه المعجمي، ففي (كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم) عرف (التهانوي) الحجة بأنها: "المركبة من المقدمات المسلمة عند الخصم، المقصود منها إلزام الخصم وإسكاته" (التهانوي، ١٩٩٦م، ص٦٢٢).

ولا يختلف الحجاج في الاصطلاح الحديث عن المفهوم القديم، من جهة أنه "جنسٌ خاصٌّ من الخطاب، يُبنى على قضية أو فرضية خلافية، يَعْرِضُ فيها المتكلم دعواهُ مدعومة بالتبريرات، عبر سلسلة من الأقوال المترابطة قاصدًا إقناع الآخر بصدق دعواه، والتأثير في موقفه أو سلوكه تجاه تلك القضية" (العبد، ٢٠٠٠م، ص ٤٤).

وقد أنزل (بيرلمان) –في نظريته حول الحجاج والبلاغة الجديدة– الحجاج بين أهم التفاعلات التي تحدث بين الخطيب وجمهوره؛ لذلك فقد عرفه بأنه: "درس تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم بما يعرض عليها من أطروحات أو أن تزيد في درجة ذلك التسليم" (صولة، د.ت، ص ٢٩٩).

ووفق هذا التصور، وضع بيرلمان خمسة ملامح رئيسية للحجاج، هي: (الأمين، ٢٠٠٨م، ص١٠٨)

- أن يتوجه إلى مستمع.
- أن يُعبر عنه بلغة طبيعية.
- مسلماته وبديهياته لا تعدو كونها احتمالية.
- ألا يفتقر تقدمه وتناميه إلى ضرورة منطقية بمعنى الكلمة.
- نتائجه غير ملزمة (احتمالية غير حتمية).

وتنطلق أفكار اللسانيين في الحجاج من خلال النظرية التي تعرف باسم التداولية المدمجة **Integrated Pragmatics**، وهي تعرف بكونها "نظرية دلالية في الشفرة اللغوية؛ أي اللسان بالمعنى الذي قدمه سوسير" (روبول؛ موشلار،، د ت، ص ٨٣). وذلك من خلال "ملاحظة أن الدلالات اللغوية تتأثر بشروط استخدام اللغة، وهي شروط مقننة ومتحققة في اللغة" (روبول؛ موشلار، ٢٠٠٣م، ص ٤٧).

إذ كانت جهود ديكرو وأنسكمبر تشير إلى أن البنى الحجاجية ليست مضافة إلى الملفوظ، ولكنها مسجلة في اللغة بوصفها أساسا لكل دلالة. فالحجاج في نظرهما لم يعد نشاطا من بين أنشطة أخرى، ولكنه أساس المعنى نفسه، وأساس تأويله في الخطاب (الحباشة، ٢٠٠٨م، ص ١٨).

وفي ضوء ذلك أيضا ميز ديكرو وأنسكمبر بين الاستدلال الحجاجي والاستدلال البرهاني من حيث النسق، فالحجاجي خاص بالخطاب، والبرهاني يختص بالمنطق؛ إذ إن "البنى الحجاجية ليست ذات طبيعة منطقية، ولكنها لغوية بالأساس، داخلة في اللغة التي تحتوي في بنيتها على معلومات تتعلق بالحجاج، هذه المعلومات يمكن تشبيهها وظيفيا بتحديد مسبق للتسلسلات الخطابية" (الحباشة، مرجع سابق، ص ١٨).

يتبين للباحثة مما سبق أن الحجاج هو حدث تواصلي بين المتكلم والمخاطب، يتخذ الاستدلال والبرهان وسيلة للإقناع والتأثير، وبذلك فالحجاج يشير إلى مفهومين:

الأول: طريقة تحليل واستدلال بقصد تقديم مبررات مقبولة للتأثير في الاعتقاد والسلوك.

الثاني: عملية اتصاليّة يستخدم فيها المنطق للتأثير في الآخرين (عبد المجيد، ٢٠٠٠م، ص ١٠٥).

ثالثًا: المقاصد الحجاجية لسورة غافر:

سبق أن بينا أن سورة غافر هي من سور الحواميم التي اتفق العلماء على مكيتها؛ ومن ثم فإن سورة غافر تحمل خصائص الخطاب التي تحملها السور المكية كافة؛ إذ إنها تمثل للخطاب المكي في القرآن، ويمكن توضيح أهم مضامين الخطاب في السورة الكريمة على النحو الآتي:

– الدعوة إلى أصول الإيمان بالله واليوم الآخر، والتذكير بزوال الدنيا وحتمية البعث والحساب؛ حيث إن "الاعتناء في السور المكية إنما هو بأصول الدين، من تقرير التوحيد والمعاد والنبوة. وأما تقرير الأحكام والشرائع فمظنة السور المدنية" (ابن قيم الجوزية، ٢٠٠١م، ص١٣٦).

– تناول قصص الأنبياء والأمم السابقة عن طريق الخطاب المعتمد على الإقناع والتحذير، وهدم المعتقدات الباطلة، وإثارة التفكير في المخلوقات، وبيان أن الإسلام هو الدين الخاتم، والتركيز على نبذ الأخلاق الفاسدة، والعادات الموروثة الذميمة، والسلوكيات الباطلة (الصالح، ١٩٧٧م، ص١٨٣).

وبناء على ما سبق، فقد أوضح الفيروز آبادي مقصود سورة غافر متضمنا جملة من المقاصد الحجاجية الآتية:

– المِنة على الخَلْق بالغفران، وقبول التوبة.

– وخطبة التوحيد على جلال الحق.

– وتقلب الكفار بالكسب والتجارة.

– وبيان وظيفة حَمَلة العرش.

– وتضرع الكفار في قَعْر الجحيم، وإظهار أَنوار العَدْل في القيامة.

– وذكر إهلاك القرون الماضية.

– وإنكار فرعون على موسى وهارون.

– ومناظرة خربيل لقوم فرعون نائبًا عن موسى.

– وعَرْض أَرواح الكفار على العقوبة.

– ووعد النصر للرسل.

– وإقامة أَنواع الحجة والبرهان على أَهل الكفر والضلال.

– والوعد بإجابة دعاءِ المؤمنين.

– وإظهار أَنواع العجائب من صنع الله.

– وعجز المشركين في العذاب، وأَن الإيمان عند اليأْس غير نافع.

– والحكم بخسران الكافرين والمبطلين في قوله: وَخَسِرَ هُنَالِكَ الكَافِرُونَ (الفيروز آبادي، د ت، ج١، ص٤٠٩، ٤١٠).

وتستنتج الباحثة من الموضوعات التي رصدها الفيروز آبادي للسورة الكريمة أن كل موضوع فيها يشتمل على مقصد تداولي حجاجي برأسه، وأن هذه المقاصد في جملتها ترتكز على محور دلالي جامع، وهو الصراع بين الحق والباطل، بما يقتضيه هذا الصراع من إستراتيجيات وآليات حجاجية لكل طرف بهدف الانتصار والفوز بالمحاجة.

ولعل هذا المحور الدلالي هو المقصد الحجاجي الذي تدور عليه كافة مقاصد السورة الحجاجية.

وقد بين البقاعي أن مضمون سورة غافر يستند إلى المقصد الحجاجي المشتمل على الصراع بين الحق والباطل؛ لأن آيات السورة تسير على مبدأ الاستدلال على ما ختمت به سورة الزمر التي تسبقها في الترتيب في المصحف على وجه المناسبة من تصنيف الناس في الآخرة إلى شقي وسعيد، والرد على المجادلين في يوم القيامة من الكفار، فقال: "مقصودها الاستدلال على آخر التي قبلها من تصنيف الناس في الآخرة إلى صنفين، وتوفية كل ما يستحقه على سبيل العدل، بأن الفاعل ذلك له العزة الكاملة والعلم الشامل، وقد بين ما يغضبه وما يرضيه غاية البيان على وجه الحكمة، فمن لم يسلم أمره كله إليه وجادل في آياته الدالة على القيامة أو غيرها بقوله أو فعله فإنه يخزيه فيعذبه ويرديه، وعلى ذلك دلت تسميتها بغافر" (البقاعي، د.ت، ج٧، ص١).

كما جعل ابن عاشور المحور الدلالي للسورة مقسما إلى أغراض "مِنْ أُصُولِ الدعْوَةِ إِلَى الْإِيمَانِ، فَابْتُدِئَتْ بِمَا يَقْتَضِي تَحَدي الْمُعَانِدِينَ فِي صِدْقِ الْقُرْآنِ" (ابن عاشور، ١٩٨٤م، ج٤، ص٧٧). وقد أشار ابن عاشور إلى البنية الحجاجية التي تتأسس عليها دلالات سورة غافر بقوله: "بنيت على إبطال جدل الذين يجادلون في آيات الله جدال التكذيب" (ابن عاشور، ١٩٨٤م، ج٢٤، ص ٢٠٠).

المبحث الثاني

آليات الحجاج وتطبيقاتها على الأساليب الإنشائية في سورة غافر

تنوعت المقاصد الحجاجية في هذه السورة بناء على محورها الدلالي العام، ومن هنا يسعى هذا المبحث إلى بيان قَصْد المتكلّم الحجاجي في توجيه معنى الأساليب الإنشائية الطلبية وغير الطلبية، وكذلك تأثير إستراتيجيات الخطاب الحجاجي في عمليّة التّواصل والأحداث الكلامية في السورة، والبحث عن أنماط الحجاج ومقاصده وآلياته الإجرائية في آياتها ومقاطعها.

أولا: الحجاج في الأساليب الإنشائية الطلبية:

١- أسلوب الأمر والنهي:

الأمر هو "طلب حصول الفعل من المخاطب على وجه الاستعلاء، وقيل هو: طلب حصول الفعل على جهة الاستعلاء حقيقيًّا كان ذلك الاستعلاء، أو ادعائيًّا" (الهاشمي، مرجع سابق، ٨٩/٢). وتخرج معاني فعل الأمر عن المعنى الأصلي المتمثل في (الإيجاب والإلزام) إلى معانٍ أخرى تتحدّد وفق سياق الكلام وقرائن الأحوال (السكاكي، ١٩٨٨م، ص٣١٨).

ويعدّ الأمر من الأفعال الإنجازية لكنه إنجاز ضمني؛ لأنّه يهدف إلى توجيه المتلقي إلى سلوك معين، وتعرف الأفعال الإنجازية بكونها: "خصيصة المنطوقات، فالمنطوق الواحد يمكن أن يمتلك قوى إنجازية مختلفة في ملابسات استعمال مختلفة، فالقوة الإنجازية إذن هي الشدة أو الضعف اللذان يمكن أن يُعرض بأحدهما غرض إنجازي واحد" (العبد، ٢٠٠٤م، ص ١٣٨). والغرض الإنجازي هو المعنى الذي يعبر عنه الأسلوب خبرا كان أو إنشاءً، فالتركيب حامل لقوة إنجازية مباشرة، وأخرى غير مباشرة (نحلة، ص٩٧). إذ إن "للأمر تحققات مختلفة منها صيغة "افعل" "ليفعل" "فعال" المصدر، اسم الفعل الجامد صه – إيه – آمين... وغيرها يؤلف بينها شرط الاستعلاء" (عبد الصمد، ٢٠١٧م، ص١٦٥). ومن هنا تستعمل الأوامر بوصفها وسيلة توجيهية لتحقيق أغراض تواصلية وحجاجية في سورة غافر، ومنها:

أ. قصدية الحصول على المنفعة:

يظهر ذلك في توظيف الأوامر التي تحدد نوعيّة العلاقة بين طرفي الحدث الكلامي، ووجوب خضوع المخاطب لأوامر المتكلم ونواهيه؛ لأنه يدعوه إلى ما هو في مصلحته، وفي هذا حرص من المتكلم على مصلحة المخاطب. وتتحقق هذه الغاية من خلال آلية الأمر الصريح، كما في المثال الآتي من قول مؤمن آل فرعون لقومه: ﴿وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ (غافر: ٣٨). فالغرض الحجاجي من الأمر يتبين عن طريق بناء الأمر على أسلوب الشرط، فالأمر يمثل الشرط الذي تعقبه النتيجة، وهي الهدي إلى سبيل الرشاد؛ ومن ثم فاستخدام الأمر هنا كان لغرض حجاجي، تمثل في الدعوة إلى الحصول على المنفعة من وراء الأمر؛ ولذلك عدَّ أبو السعود أن بناء الأمر باتباعه على حصول الهدي والرشاد من قبيل "التعريض أن ما يسلُكُه فرعونُ وقومُه سبيل الغي والضلال" (أبو السعود، ج٧، ص٢٧٧).

ب. قصدية الدوام والاستمرار:

للأوامر صيغ خطابيّة تلفت انتباه المخاطب للإذعان لما يؤمر به؛ إذ إن تلك الأوامر تؤكِّد استعلاء الآمر ووجوب الخضوع لأوامره، فضلًا عن أنّ المأمور المخاطب يجب عليه أن يدرك تمام الإدراك رغبة (الآمر) وارتكازه على السلطة وأثرها في استعماله للغة، فـ "كلّما كان السامع أعرف بالمتكلّم وقصده، وبيانه، وعاداته، كانت استفادته للعلم بمراده أكمل وأتمّ" (روبول؛ موشلار، مرجع سابق، ص ٧٧). ومن الأمثلة على فعل الأمر في سياق الدوام والاستمرار آيات سورة غافر قوله تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ﴾ (غافر: ٣٦).

فقد استعمل هنا فرعون سلطته من أجل الوصول إلى إقناع مخاطبه بالاستمرار والمداومة في تحدي موسى عليه السلام عن طريق استعمال الأمر ببناء الصرح، فقد ركز فرعون في أمره هنا على دلالة الاستعلاء والسلطة؛ لاستكمال غاية التحدي مع موسى في قضية الإيمان والكفر، وقد بيَّن الرازي أن التحدي هنا قائم على أن الحجة التي استعان بها فرعون هي نفي الجانب الحسي الذي يدرك به الإنسان الله عز وجل،

ومن ثم فقد كان هدفه أن ينفي هذا الإحساس؛ إذ "إِنَّهُ لَمَّا كان لا طريق إلا الْإِحْسَاسُ بِهَذَا الْإِلَهِ وَجَبَ نَفْيُهُ" (الرازي، ج٢٧، ص٥١٦).

وفي قوله: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالإِبْكَارِ﴾ (غافر: ٥٥)، يأتي الله بالأمر الإلهي لسيدنا محمد عليه الصلاة وأفضل التسليم بأن يصبر، وهذا القول "تفريع على قوله: إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا، أي فاعلم إنّا ناصروك والذين آمنوا، واصبر على ما تلاقيه من قومك ولا تهن" (ابن عاشور، مرجع سابق، ج٢٤، ص ٢١٨).

والأمر من آليات الإستراتيجية التوجيهية ذات المضمون القيمي؛ لأن صيغة الأمر "اصبر" تحتوي على دلالات الحرص والعناية والاهتمام والتأكيد؛ لأن الأمر قد صدر من سلطة عليا بيدها الأمر والنهي. فهذه المعاني كلها تعمل على إزالة القلق والاضطراب من النفس لما تشتمل عليه من سلطة الآمر، وقوة التوجيه.

كما أن التوجيه الإلهي العظيم لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم من خلال أمر الإلزام يدعوه إلى التحلي بقيم متنوعة بجانب الصبر، وهي الاستغفار والتسبيح، ولما كان هذا الأمر الإلزامي بحاجة إلى سند لغوي حجاجي يتمثل في ظهور بوادر للاطمئنان والثقة، فقد اعترضه الوعد الإلهي المؤكد (إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ)، تعليلًا وتسليةً للأمر بالصبر، و"إن" للتأكيد والاهتمام بالخبر (ابن عاشور، مرجع سابق، ج٢٤، ص ٢١٨).

فكان الصبر والاستغفار داخلين في سياق التفريع على الوعد بالنصر، وكانا رمزًا لتحقيق الوعد. ويأتي الأمر بالتسبيح بعد الصبر والاستغفار؛ لإتمام الطمأنينة في نفس المرسل إليه، وظهور آثار نعمة الشكر عليه، وفي ذلك كناية عن كون نعمة النصر حاصلة لا محالة (المرجع سابق، ج٢٤، ص ٢١٨).

وإن كان الخطاب موجهًا للنبي عليه الصلاة والسلام بوصفه المتلقي المباشر للأمر، فإن التوجيه الإلهي العظيم يتضمن متلقين ضمنيين، وهم المؤمنون جميعا في كل زمان ومكان، فالتوجيه من الله للرسول عليه الصلاة والسلام هو دعوة لهم جميعا للتحلي

بالصبر، والمواظبة على التسبيح والاستغفار في كل الأوقات، وذلك بأخذهم للرسول الكريم صلى الله عليه وسلم قدوة وأسوة يتأسون بها.

ج. قصدية الالتماس:

إذ إن جملة الأمر تأتي لتحقيق رغبات الآمر من خلال الالتماس للمأمور، فيدل فعل الأمر لا على الاستعلاء، وإنما على الاستئذان والتودد في الكلام، كما في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُ﴾ (غافر: ٢٦)، ففعل الأمر (ذَرُونِي) يحمل تودداً في الكلام التماسا من فرعون لقومه؛ كي يحقق رغبته بالانتقام من موسى عليه السلام، وبرغم ذلك فإن فرعون لم يكن منتظرا موافقة القوم حين طلب منهم أن يدَعوه يقتل موسى؛ لأنه يعبر بجملة الأمر لقومه عن رغبته في الانتقام، قال ابن عاشور: "ومعنى: **(ذَرُونِي)** إعلامهم بعزمه بضرب من إظهار ميله لذلك وانتظاره الموافقة عليه؛ إذ يمثل حاله وحال المخاطبين بحال من يريد فعل شيء فيصدّ عنه، فلرغبته فيه يقول لمن يصده: دَعْنِي أفعل كذا؛ لأن ذلك التركيب مما يخاطب به الممانع والملائم ونحوهما" (المرجع السابق، ج٢٤، ص ١٢٤). فالقوة الحجاجية المتضمنة ذلك الأمر هي التحدي، الذي وصل إلى ذروته بفعل شدة كفر فرعون وجحوده، أنه يتحدى موسى في أن يدعو ربه عز وجل لإنقاذه من هذا المصير المنتظر. وكأنه –عليه من الله ما يستحق– يسعى من وراء هذه الصيغة إلى أن يؤكد لقومه عدم اكتراثه، وقلة اعتنائه برب موسى، وفي هذا تهديد مباشر لموسى عليه السلام، وتهكم بنصرة ربه له –تعالى الله عما يقول علوا كبيرا–.

حيث يستعين فرعون بتقنية الحجاج المغالط بهدف تضليل الحقائق، ظنًّا منه أن تلك التقنية يمكن أن تقلب الحقيقة إلى جانبه؛ إذ إن في التوسل بالمغالطة في الحوار مع قومه من وجهة نظره تحقيقا لنتيجتين، هما: الحفاظ على سلطته. وترك أثر إيجابي في نفس مخاطبيه كي لا يستسلموا بسهولة إلى حجاج المؤمن.

فالسبب الذي دعا فرعون لأن يطلب هذا التفويض من قومه يظهر في حجاجه المغالط من قوله: ﴿إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾، فهذه

الجملة تعليل للعزم على قتل موسى (ابن عاشور، مرجع سابق، ج٢٤، ص١٢٥). والمغالطة هنا تكمن في أن قول فرعون يتناقض مع فعله، فهو يخاف على أن يبدل دين قومه، ولكنه في الوقت نفسه يدعي بأنه الإله الذي تجب طاعته وعبادته، ومن هنا فالمغالطة والتضليل في الحجاج لدى فرعون كانت للدفاع عن ذاته، وللسعي وراء تحقيق مصالحة الشخصية بأن يكون صاحب السلطة على قومه.

فالحجاج المغالط كما في الآية السابقة مؤسس على القياس الخطأ في تقديم الحجج، وتناقض الحجة مع القصد التداولي، وهو ما يظهر بوضوح في مقاطعة فرعون لنصيحة مؤمن آل فرعون لقومه في قوله تعالى: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلاَّ مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلاَّ سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ (غافر: ٢٩).

إن المغالطة الحجاجية في كلام فرعون هدفها الوصول بالمخاطبين من قومه إلى مرحلة الاقتناع، بحيث "يصبح المتلقي تحت سيطرة المرسل" (الشهري، ٢٠٠٤م، ص ٤٥٧)؛ ولذلك فهو يستعين في تعزيز تضليله الحجاجي بالسلطة التي يمتلكها على قومه في قوله: ﴿مَا أُرِيكُمْ إِلاَّ مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلاَّ سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾؛ إذ يعتمد هنا على أدوات حجاج السلطة المتمثل في التهديد والترهيب كأسلوب للإقناع الخطابي.

٢- النداء:

النداء هو طلبُ إِقْبَالِ الْمَدْعُوِّ عَلَى الدَّاعِي بِحَرْفٍ نَائِبٍ مَنَابَ "أَدْعُو"، وتأتي أدوات النداء على نوعين:

١- نداء القريب حسًّا أو معنى، وأداته: الهمزة، وأي.

٢- نداء البعيد، وأداته: يا، وهيا، وأيا، وا. (السكاكي، مرجع سابق، ص ١٠١).

فتنوع أدوات النداء، مع تنوع لفظ المنادى يأتي تبعا لاختلاف شخص المنادي أو صفته، أو سياق خطابه والغرض منه.

ويخرج النداء عن معناهُ الحقيقي إلى مقاصد تداولية ذكرها البلاغيون بالقول: "وقد تستعمل صيغته من غير معناه، كالإغراء في قولك لمن أقبل يتظلم بـ (يا مظلوم)، والاختصاص في قولهم: افعل كذا أيها الرجل. ونحن نفعل كذا أيها القوم، وغفر الله لنا

أيتها العصابة، أي متخصّصًا من بين الرجال، ومتخصصين من بين الأقوام والعصائب"، (القزويني، ٢٠٠٦م، ج٣، ص٩٢).

وأصل النداء أن يكون للبعيد، قال الزمخشري: "و (يا) حرف وضع في أصله لنداء البعيد، صوت يهتف به الرجل بمن يناديه" (الزمخشري، د ت، ج٤، ص٨٩). وإذا استعمل للقريب فإن في ذلك مقصدا تداوليًّا يتمثل في "مناداة من سها وغفل وإن قرب تنزيلا له منزلة من بعد، فإذا نودي به القريب فذلك للتأكيد أن الخطاب الذي يتلوه معنيّ به جدا" (المرجع السابق، ج٤، ص٨٩). ومعنى ذلك إظهار حرص المتكلّم على أمر ما، أو التنبيه على أن الخطاب التالي للنداء يجب الاعتناء به من قبل المخاطَب، مثل قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ (الأحزاب:٩)، وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾ (آل عمران:١٠٢).

ففي تكرير نداء قومه مبالغة في التنبيه والتحدي وإمحاض النصيحة والإيقاظ من سنة الغفلة، كأنه عزَّ عليه يستهدفوا للمصير المحزون، وهو متأرجح بين التلطف بهم وما يسوءهم.

فالنداء يمثل إشارة لغوية لتحفيز المخاطَب للاهتمام بما ينادَى من أجله، وبذلك يكتسب النداء قوة حجاجية؛ إذ يمد الكلام بهذه القوة ليرفع من درجات التفاعل التواصلي فيه.

وقد استخدم مؤمن آل فرعون في نداء مخاطَبيه أسلوبا واحدا مكررا، وهو قوله: يا قوم. كما يتضح من الآيات الآتية:

- ﴿يَا قَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ﴾ (غافر: ٢٩)، ﴿وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ﴾ (غافر: ٣٢)، ﴿وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ (غافر: ٣٨).

إن المقصد الحجاجي الذي توظف فيه أداة النداء هنا هو التأدب في الحوار لاستمالة المخاطَب لما يلقى عليه من حجج، تمهيدا للتسليم بها والإذعان إليها؛ إذ يتلخص جوهر القاعدة الحوارية لهذا المبدأ في أن يكون "تودد للغير متجردا من أغراضك بتلوّناتها، ويقتضي أن يقدم المتكلم حقوق المخاطَب على حقوقه، وليس في هذا التقديم حطٌّ من

مكانة المتكلم ولا إضاعة لحقوقه، فلا يحطُّ هذا التقديم من قدر المتكلم" (عبد الرحمن، مرجع سابق، ص ٢٢٣).

إن السعي من قبل المؤمن لاستخدام التأدب في الحوار له مقاصده التداولية التي تهدف في الأول والأخير إلى تبليغ المحتوى الخطابي، وبلوغ الهدف من الحوار، اعتمادا منه على أن التأدب في الخطاب يعد وسيلة لتيسير الفهم، إذ "تقيم هذه الإستراتيجية صلة مودة بين طرفي العلاقة، وتزرع الثقة في نفس المرسل إليه، مما ينعكس أثرها إيجابًا على تحقيق القصد وتبليغه" (الشهري، مرجع سابق، ص ٢٦٢).

وترى الباحثة أن شروط الحجاج التوجيهي القائم على الجدل قد اكتملت في هذا الخطاب الحجاجي في كلام مؤمن آل فرعون، من جهة أن التوجيه ليس مجرد فعل، بل هو يشمل وظيفة لغوية تعبر عن مدى تأثير المتكلم على سلوك المخاطب وتوجيهه خطابيا. وذلك للاعتبارات الآتية:

- أن الجدل كان قائما على المنطق العقلي بأن طلب منهم تصديق البينات الواضحة التي جاء بها موسى، كونها من الأدلة المادية المحسوسة.
- دعوته إلى التمهل وأحكام العقل في إصدار حكمهم على موسى حتى يتبين لهم حقيقة ما جاء به هو استدراج جدلي يسعى به إلى هدف معين، هو النجاح في استجابة المخاطبين.
- تقديمه لفروض عقلية حتى يتم الحكم وفق منهجية علمية ومنطقية، فضلا عن الاتصاف بالإنصاف والحكمة في إصدار الأحكام، وذلك عندما بين لهم أن أمر بقاء موسى عليه السلام حيًّا يستلزم افتراضين، إما كذبه وإما صدقه، وبحسب الافتراضين فإن موسى عليه السلام لا يستوجب القتل.

ويظهر هذا الجدل التوجيهي المحمود من قبل الرجل المؤمن بلفت نظر فرعون وقومه وتذكيرهم بما وصلوا إليه من سلطة وقوة في الأرض، بقوله: ﴿يَا قَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِن بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا﴾ (غافر: ٢٩).

ويعد النداء وفق مضمونه أسلوبًا إنشائيًّا حاملا لمعاني الدعوة من المتكلم للمخاطب للإقبال والحضور، حيث يبتدأ به في أغلب المخاطبات؛ كي يكون الحدث الكلامي مأنوسًا فيحظى بالقبول، ولذلك فالنداء لا يستعمل إلا إذا كان المنادى مدعوا لأمر مهم، ومن ثم لا بد أن يرد بعد النداء تبليغ مضمون الخبر الذي تم النداء من أجله، فتصدير النداء إنما هو لغاية تداولية تتضمن تنبيه المنادى المخاطب، وضمان اهتمامه بمضمون الخبر، وإصغائه لما يلقى عليه.

فقد ناداهم لكي يستميلهم لمؤازرته أمام فرعون، فإشراك قومه في الموعظة أدخل في باب النصيحة (ابن عاشور، مرجع سابق، ج٢٤، ص ١٨٦)، فالمرسل عندما يطالب غيره مشاركته اعتقاده فإن مطالبته هذه لا تكتسي صبغة الإكراه، لكنها كانت نابعة من سبل استدلالية اتخذها المرسل ليقتنع برأيه المخاطب (الشهري، مرجع سابق، ص ٤٤٦).

إذ قام الرجل المؤمن بإنزال المخاطبين الماثلين أمامه في الخطاب منزلة المنادى البعيد؛ فناداه بحرف النداء الدال على البعد (يا)، وما ذلك إلا لتفعيل قصدية التنبيه للإصغاء للأمر الخطير الذي سيلقى عليه بعد النداء من جهة أولى، والتحذير منه نظرا لخطورته من جهة ثانية.

وهذا الأمر هو ضرورة حفاظهم على ما أنعم الله عليهم من ملك وسلطة على أرضهم، والملاحظ هنا أنه جعل السلطة والملك بصيغة العموم والشمول، وليس على جهة الانفراد كما يتبين من تصريح فرعون بقوله: ﴿**مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى**﴾ (غافر: ٢٩).

كما يلاحظ ذلك الاستدراج التوجيهي من مؤمن آل فرعون في خطاب عمومي آخر وهو قوله: ﴿فَمَن يَنصُرُنَا مِن بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا﴾، ذلك أنه جمع نفسه معهم في الملك والسلطة إذا احتفظوا بهما، وفي الهلاك إذا خالفوا نصيحته بالمكابرة والعناد، وفي هذا الخطاب تلميح يتضمن الدعوة إلى الامتثال لأمر الله تعالى.

وطرح التحذير السابق على هيئة سؤال يؤدي إلى الاختلاف في الآراء حول ما يخاطبهم به؛ حيث يدرك المرسل أن المخاطب لا يوافقه الرأي (المرجع السابق، ص ٤٨٣)؛ لذا لجأ مؤمن آل فرعون إلى السؤال الذي يفيد النفي. بقوله: فَمَن يَنصُرُنَا مِن

بَأْسِ اللهِ إِنْ جَاءَنَا. فالاستفهام هنا هو الحجة ذاتها، وهو نمط حجاجي بالقصد المضمر فيه، حيث يؤدي بالمخاطبين إلى التسليم والتنازل عن معتقداتهم السابقة (عشير، ص٧٦). وعندما دمج نفسه مع قومه في قوله "ينصرنا وجاءنا"، ليريهم أنه يرفض لقومه ما يرفضه لنفسه، فإذا وقع عقاب الله فإنه سيصيب الجميع (لبن عاشور، مرجع سابق، ج٢٤، ص ١٨٧).

ويستمر جدل التوجيه المحمود من قبل الرجل المؤمن بقول الله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ الأَحْزَابِ (٣٠) مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ﴾ (غافر: ٣٠-٣١).

يأتي ضرب المثل في جدل التوجيه كما في الآيات السابقة لغرض الإقناع، وهو تدرج في الحجاج؛ إذ إن المتكلم يلجأ إليه عندما تفشل الأدلة التي أتى بها لأغراض الإبلاغ والإفهام في تحقيق مآربها الحجاجية، فإنه حينئذٍ يتدرج في الحجاج بضرب الأمثال كي يصل إلى غاية إقناع المخاطب الذي يغالط في قبول ما يلقى عليه والتسليم به؛ إذ لا يخرج دور الحجاج عن الإقناع، فهو الطريقة التي تقود المرسل إلى تحقيق هدفه وتأكيد حجته في ذهن المتلقي، فهذه ممارسة تخفي الذات وراءها مجموعة من ميولات المرسل (عشير، مرجع سابق، ص٢٠٩).

فالمؤمن يسعى من وراء ضرب هذا المثل أن يجعل المخاطبين يتأسون بمن قبلهم من الأمم التي عاندت وتكبرت؛ وذلك لينجوا بأنفسهم من عقاب مماثل، وفي هذا التمثيل ينحو المحقق صوب الإقناع والحجاج؛ لأن كثرة الأدلة التي ساقها مؤمن آل فرعون لم تكن إلا لحثهم على الإيمان، وترك الكفر والمكابرة.

يتضح للباحثة أن استعمال أسلوب التأدّب هنا في مقام التمييز بين الإيمان والشرك هو أرقى درجات أدب الخطاب؛ لأنه يعتمد على إدراك المتكلم للمرونة التي يجب أن يكون عليها هذا النوع من الخطابات الشائكة؛ إذ يستعمل المتكلم هذا الأسلوب التخاطبي بوصفه آلية حجاجية لها مقصد تداولي، وهو أن يرق قلب المدعو فيستجيب؛ إذ لابد أن يبدأ الخطاب بالإعداد النفسي للمخاطَب المعترض وتهيئته لتلقي الدعوى المخالفة لاعتقاده.

إن خطاب التأدب في الحوار لا يمثل في هذا المقام إلا أداة تواصلية تهدف إلى الموازنة بين نقيضين، حتى يتبين الشيء بضده عن طريق المقارنة بين ما يتمسك به المخاطب من اعتقادات، وبين ما يدعوه إليه المتكلم من إقناع وتسليم، "فالمرسل عندما يطالب غيره مشاركته اعتقاده فإن مطالبته هذه لا تكتسي صبغة الإكراه، لكنها كانت نابعة من سبل استدلالية اتخذها المرسل ليقتنع برأيه المخاطَب" (الشهري، مرجع سابق، ص ٤٤٦).

فتلك المقارنة تثير في نفس المخاطب التوجه إلى ما فيه مصلحته، وتلك طريقة لطيفة يَنْفَذُ المتكلم عن طريقها إلى قلب المخاطب المخالف.

ولكي يوظف المؤمن تقنية التأدب فإنه يتوسل بالنداء المتكرر (يا قوم)، فتكرار النداء فيه زيادة تنبيه لتحذير المخاطب من مغبة الاستمرار في الشرك والتضليل، إلى أن يتيقن أنه لا سبيل إلا بالإقرار والإيمان بالله عز وجل.

فالنداء يحث المتلقي ليقوم بردة فعل تجاه المتكلم، وهنا نرى لفت انتباه المتلقي بحرف النداء (يا) حتى يركز ذهنه على ما يريده المتكلم، "كما أن الأمر الذي يأتي بعد النداء يمنح لهذا النداء الدلالة على شدة عناية المتكلم بمضمونه (دراز، ١٩٨٦م، ص ٢٧٦).

إن خطاب الملاطفة والرفق يستعمله المحاور ابتغاء كسب ثقة المخاطب، وذلك من شأنه أن يجذب الطرف الآخر، ويجعله أكثر استعدادًا للإصغاء، والقبول والاقتناع، فمؤمن آل فرعون يسلك مع قومه الرفق واللين والملاطفة مشعرًا قومه بالرحمة والشفقة، والخوف عليهم في أكثر من موقف، حيث يقول تعالى: ﴿وقَالَ الَّذِي آمَنَ يا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ الأَحْزَابِ﴾ (غافر: ٣٠). ويظهر ذلك أيضًا على لسان مؤمن آل فرعون: ﴿وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ﴾ (غافر: ٣٢)؛ إذ يلمح من هاتين الآيتين الملاطفة واللين، وهذا من دأب الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، والصالحين من أتباعهم في التواصل والحوار مع المخالفين فيدلّ على أدب خطاب ينسجم مع سمات الأنبياء والصالحين (شوقار، ص ١٢).

وقد استخدم مؤمن آل فرعون في نداء مخاطبيه أسلوبا واحدا مكررا، وهو قوله: يَا قَوْمِ. كما يتضح من الآيات الآتية: ﴿يَا قَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ﴾ (غافر: ٢٩)، ﴿وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ﴾ (غافر: ٣٢)، ﴿وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ (غافر: ٣٨)، فالنداء المتكرر يحث المتلقي على القيام بردة فعل تجاه المتكلم، وهنا نرى لفت انتباه المتلقي بحرف النداء (يا) حتى يركز ذهنه على ما يريده المتكلم، "كما أن الأمر الذي يأتي بعد النداء يمنح لهذا النداء الدلالة على شدة عناية المتكلم بمضمونه (دراز، مرجع سابق، ص ٢٧٦).

ويشير ما سبق إلى استعمال المتكلم (مؤمن آل فرعون) عبارات كسب الثقة، وهي واحدة من الآليات الحجاجية للإستراتيجية التضامنية؛ إذ إن الغاية التداولية الأساسية للإستراتيجية التضامنية تكمن في محاولة المتكلم كسب ثقة المخاطب، ومن ثم دفعه نحو الانتباه لكل ما يلقى على مسامعه من حديث، ثم الإقرار بكل ما قيل، ومن هنا يعد بناء الثقة بين الطرفين –وفقا للإستراتيجية التضامنية– مطلبا رئيسًا لإزالة العوائق والحواجز الاجتماعية والنفسية بينهما (الشهري، مرجع سابق، ص ٤٨٧).

كما يحمل النداء قوة حجاجية تتمثل في تنبيه المتكلم لمن يناديه، كما في قوله تعالى: ﴿**يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ**﴾ **(غافر:٣٩)**.

فوصف الدنيا أنها "تمتعٌ يسيرٌ لسرعةِ زوالِها أجملَ لَهمُ أولًا ثمَّ فسرَ فافتتحَ بذمِّ الدُّنيا وتصغيرِ شأنِها لأنَّ الإخلادَ إليها رأسُ كلِّ شرٍّ ومنه تتشعبُ فنونُ ما يُؤدِّي إلى سخطِ الله تعالَى ثمَّ ثنَّى بتعظيمِ الآخرةِ فقالَ ﴿**وَإِنَّ الآخرة هِيَ دَارُ القرار**﴾ لخلودِها ودوامِ ما فيها" (أبو السعود، مرجع سابق، ج٧، ص٢٧٧). فالنداء يحمل قوة حجاجية تتضمن لفت انتباه المخاطب لترك اللهو في الدنيا الزائلة، والعمل بجد لدار البقاء، فقد بينت الآية "حَقَارَةَ حَالِ الدُّنْيَا وَكَمَالَ حَالِ الْآخِرَةِ" (الرازي، مرجع سابق، ج٢٧، ص٥١٨).

وتؤكد الباحثة أن القوة الحجاجية لجملة النداء قد أيدت من خلال ما أعقبه من القصر بـ (إِنَّمَا) التي تقصر الدنيا على أنها دار متاع زائل، مع الإشارة إليها بصيغة تحقيرية باسم الإشارة (هَٰذِهِ)، وفي المقابل إتيان حقيقة الدار الآخرة بجملة مؤكدة بـ (إِنَّ)، وذكر الضمير العائد إليها (هِيَ) تعظيما لشأنها.

٣- الاستفهام:

تكمن القصدية التداولية للاستفهام في أنك "تطلب ما هو في الخارج ليحصل في ذهنك نقش له مطابق" (السكاكي، مرجع سابق، ص٣٠٤). وقد استقر مفهوم الاستفهام في اللغة على معنى الاستخبار؛ أي "طلب خُبْر ما ليس عن المستخبر" (ابن فارس، ١٩٩٧م، ص١٣٤). وقد تناول البلاغيون الاستفهام وحصروه في معنيين: التصور والتصديق. يقول التفتازاني: "الاستفهام وهو طلب حصول صورة الشيء في الذهن، فإن كانت وقوع نسبة بين أمرين أو لا وقوعها، فحصولها هو التصديق، وإلا فهو تصور" (التفتازاني، ٢٠١٩م، ج٢، ص ٢٤٦، ٢٤٧). والفرق بينهما هو أن التصديق يعبر عن القول الذي يشتمل على نسبة كلامية تطابق الواقع الخارجي، أما التصور فهو القول الذي يدرك به أحد أطراف النسبة الكلامية كما هو في الواقع الخارجي. إن ما سبق في تقرير معنى الاستفهام يقف عند حدود السؤال الذي يطلب به جوابا؛ أي أنه يعتمد على جهل السائل بما يسأل عنه، إلا أن السياقات التداولية تتضمن ظروفها المقامية استفهامات متنوعة الدلالات تبعا لكل ظرف سياقي، وقد أشار ابن جني إلى تنوع المقاصد التداولية للاستفهام في السياقات، فقال: "وذلك أن المستفهِم عن الشيء قد يكون عارفًا به مع استفهامه في الظاهر عنه، لكن غرضه في الاستفهام عنه أشياء، منها: أن يرى المسؤول أنه خفي عليه ليسمع جوابه عنه. وأن يتعرف حال المسؤول هل هو عارف بما السائل عارف به. وأن يرى الحاضر غيرهما أنه بصورة السائل المسترشد لما له في ذلك من الغرض. وأن يعد ذلك لما بعده مما يتوقعه، حتى إن حلف بعد أنه قد سأله عنه حلف صادقًا فأوضح بذلك عذرًا. ولغير ذلك من المعاني التي يسأل السائل عمَّا يعرفه لأجلها وبسببها، فلمّا كان السائل في جميع هذه الأحوال قد يسأل عمَّا هو عارفه، أخذ بذلك طرفًا من الإيجاب لا السؤال عن مجهول الحال. (ابن جني، ٢٠٠٦م، ج٢، ص٤٦٦، ٤٦٧). إن ما يشير إليه ابن جني في قصديات الاستفهام التي تتنوع بتنوع السياقات التي ذكرها إنما هو "متوالدات تشيعها السياقات والصيغ" (أبو موسى، ١٤٠٨هـ، ص٢٤٠).

لقد عد الاستفهام فعلا لغويا من أنجع أنواع الأفعال اللغوية حجاجا؛ "لأنّ الأسئلة أشد إقناعا للمرسل إليه، وأقوى حجة عليه، وذلك عندما يكون قصد المرسل غير مباشر" (الشهري، مرجع سابق، ص ٤٨). وتتمثل حجاجية الاستفهام في الخروج عن معانيه الأصلية في الاستعمال؛ إذ يكون السياق حينها "إذ يدرك المرسل أن المخاطب لا يوافقه الرأي" (المرجع السابق، ص٤٨٣). كما أن هناك اعتبارات اجتماعية لخروج هذه الأساليب عن معناها للدلالة على معانٍ أخرى مناسبة لسياقاتها؛ لأن "تحليل ظواهر مثل الاستفهام والأمر والنهي والإنذار والوعيد والتّعجب والتهديد... يبيّن أنَّ اللغة تشتمل بصفة ذاتية وجوهرية على مجموعة من الإجراءات التي تسمح بإقامة تنوع كبير في العلاقات الإنسانية" (العزاوي، ص ١١٧).

وعليه فإنه يمكن رصد المقاصد الحجاجية لعدول الاستفهام عن أصل معانيه في آيات سورة غافر على النحو الآتي:

أ- قصدية المواجهة الحوارية:

وقد تحققت القصدية الحجاجية للاستفهام من خلال المواجهة في السورة الكريمة عبر استخدام الحوار؛ إذ إن الحوار هو "أهم أشكال التفاعل اللفظي، وهو المجال الطبيعي الذي يقع فيه الحجاج بامتياز" (عادل، ص١٨٣). ولعل أبرز ما يميز الحوار هو المواجهة المباشرة بين أطرافه عن طريق السؤال والجواب، "وهما مؤشران على حالية النقاش وحضور الذوات المتفاعلة" (عادل، مرجع سابق، ص ١٨٣). ومن هنا فإن تحقق هذه القصدية (المواجهة المباشرة) يتم عبر حصار السائل للمسئول بأسئلة محددة لا يستطيع الأخير التهرب من الإجابة عنها، كما في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُم بِالْبَيِّنَاتِ مِن رَّبِّكُمْ وَإِن يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾ (غافر: ٢٨)؛ إذ قامت الذات المشاركة في هذا الحوار (مؤمن آل فرعون) بتوظيف الاستفهام الدال على الإنكار لإقناع الجمهور المخاطب، ومحاولة التقارب العقلي

والمنطقي معه؛ ولذلك كثرت ضمائر المخاطب في كلامه لتحقيق استمالتهم لما يطرح عليهم من حجج، وجعل الحوار سبيلا إلى إفهامهم الفهم الصحيح.

وذلك حول قضية معينة وهي قتل موسى، فمؤمن آل فرعون يسعى من خلال توجيه السؤال إلى إقناع هؤلاء القوم بالعدول عن هذه الفكرة؛ لأن السؤال "محرك للسجال والاستدلال، أي جاء منتجا للعديد من الأقوال التي تقدم نفسها حسما للسؤال، أو على الأقل الجواب المناسب عنه؛ لذلك يقول ميشيل مايير: إذا لم يكن هنالك سؤال، لن يكون هنالك سجال؛ لأنه لن يكون هنالك إلا جواب واحد (عادل، مرجع سابق، ص ٢٠٧). "والاستفهام في: أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا، استفهام إنكار؛ أي يقبح بكم أن تقتلوا نفسًا لأنه يقول ربي الله" (ابن عاشور، مرجع سابق، ج٢٤، ص ١٢٩). تم توظيفه لبيان فداحة ما يريد القوم الإقدام عليه من قتل موسى عليه السلام، وتوبيخهم عليه؛ كي يتراجعوا عنه، ولقد استخدم لتحقيق هذا الغرض الحجاجي ما يلي: توجيه السؤال لفعل القتل، لا لشخص المقتول؛ وذلك لتوسيع دائرة الغرض الحجاجي، حتى لا يظن المخاطبون أن الإنكار موجه لقتل موسى فقط، أما الفعل نفسه فهو مرخص لهم مع أي شخص آخر. بالمعنى الذي شرحه عبد القاهر الجرجاني بقوله: "إذا قال: أَفَعَلْتَ؟ "فهو يقرره بالفعلِ مِنْ غيرِ أن يُردِّدَه بينَه وبينَ غيرِه، وكان كلامُه كلامَ مَنْ يُوهِمُ أنه لا يَدْري أنَّ ذلك الفعلَ كان على الحقيقةِ" (الجرجاني، ٢٠٠٤م، ص ١١٤). واستخدام أسلوب الاستدراج؛ أي "استدراج المخاطب، فقد أراد الانتصار لموسى بطريقة يخفى عليهم أنه متعصب له، فجاءهم بطرق النصح والملاطفة" (محمود، ٢٠٠٠م، ص١٢٧)، ثم تصدير علة الإنكار عليهم بـ(أن) في قوله: أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ. قال علي بن فضال المجاشعي: "ما علة دخول أَنْ ها هنا؟ والجواب: أنها دخلت لتدل على أن القتل إنما كان من أجل الإيمان، ولو حذفت لم يدل على هذا، وإنما يدل على قتل رجل مؤمن لا من أجل إيمانه، والتقدير: أتقتلون رجلا من أجل أن يقول، أي: لأن يقول، وتلخيصه من أجل قوله" (المجاشعي، ٢٠٠٧م، ص ٤٣٢).

ويعد الجدل من أهم آليات الحجاج؛ لأنه يرتكز على عرض المسّلمات لإلزام الخصم بالإذعان لها، فالتسليم والإذعان هما غايتا الجدل (صولة، ٢٠٠٠م، ص١٧).

وبما أن الجدل غايته التسليم والإذعان فيلاحظ ذلك في قوله تعالى على لسان مؤمن آل فرعون: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلا أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُم بِالْبَيِّنَاتِ مِن رَّبِّكُمْ وَإِن يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّاب﴾ (غافر: ٢٨).

يعتمد جدال مؤمن آل فرعون مع قومه على أدّلة عقلية مؤثرة في المخاطبين، وهي البينات والآيات التي جاء بها موسى عليه السلام، وهو يطلب منهم أن يتأملوها بتدبر كي يتيقنوا من صدقه أو كذبه، وكذلك تعجبه من موجبات قتلهم لموسى؛ لمزيد من التشنيع والإنكار لفعلة الإقدام على جريمة القتل، "وذلك لأنه ما زاد على أن قال: ﴿أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَد جَآءَكُم بِٱلبَيِّنَٰتِ﴾، وذلك لا يوجب القتل البتة" (الرازي، مرجع سابق، ج٩، ص٥٠٩). أي أنه يريد منهم أن يتسلحوا بالدليل العقلي في حكمهم على موسى وما جاء به، رغبة منه في أن يكون اقتناعهم بصدقه ناتجا عن التسليم والإذعان. "فالرجل المؤمن يوثق موقفه الإيماني بما قدمه موسى من حجج عملية" (عبد المطلب، ص ٢١٢). وبهذه الطريقة يستطيع المتكلم في جداله أن يرسم في ذهن المخاطبين صورة لهذا الشخص (موسى عليه السلام) إن كان صادقًا أو كاذبًا، وذلك من خلال مطابقة جميع ما أتى به مع الأدلة المادية المحسوسة.

فقد صدر جداله "بالإنكار عليهم في قتله واستقباحه لأمرين: "أمَّا أولًا، فلأنه قائل بالتوحيد لله، وأمَّا ثانيًا، فلأنه قد جاءكم بالمعجزات الواضحة في هدايتكم إلى الخير" (العلوي، ج٢، ص١٤٨– ١٤٩). وقد صاغ هذا الإنكار بطريق الاستفهام التوجيهي ليكون أكثر لينا وملاطفة في الحوار، بدلا من استعمال صيغ النهي الصريح القائمة على الإلزام والاستعلاء، بما قد يؤدِّي إلى نفورهم. فالحجاج بدأ بالاستفهام؛ إذ وجه المؤمن من خلاله المخاطبين من قومه إلى خيار واحد وهو ضرورة الإجابة عن التساؤل، وهو يهدف من وراء ذلك إلى السيطرة على مجريات الخطاب، وذهن المتلقي، وتوجيه الخطاب في الاتجاه الذي يريده المرسل، خاصة عندما تكون منفية مغلقة محددة بإجابة صريحة (الشهري، مرجع سابق، ص ٣٥٢). وإذا كان الاستفهام التوجيهي لا يصدر إلا من ذي

سلطة، فمؤمن آل فرعون لم يكن صاحب سلطة سياسية، وإنما تحرك في تساؤله من سلطة العقيدة والإيمان التي كانت مصدر التوجيه لديه.

فالطاقة الحجاجية التي تتضمنها الأسئلة الإقناعية –من وجهة نظر الباحثة– تعمل على إحداث التأثير العاطفي من المؤمن على المخاطبين من قومه، وهي طاقة تتبلور من السؤال الضمني وليس الصريح، فالتأويلات الضمنية هي التي تجعل من هذه الأسئلة أساليب حجاجية.

إن مثل هذه الأسئلة مهمة لإثارة المرسل إليه وإلزامه باتخاذ موقف معين، ومما يدل على أهمية البنية الحجاجية الاستفهامية وجودها في كل خطاب في بنيته السطحية أو في بنيته العميقة أيضًا، فكل خطاب لا بد أن يثير أسئلة تستدعي بالضرورة جوابًا ومن ثم حجاجا (رزقي، ٢٠١٨م، ص١٥٩).

كما أن إيثار التعبير بالنكرة: (رَجُلا)، تعظيما لمقام موسى عليه السلام في الرجال حسًّا ومعنًى (البقاعي، مرجع سابق، ٥٠٧/٦). وقد ذكر البلاغيُّون أنّ من أغراض التنكير التعظيم والتهويل والتكثير (التفتازاني، مرجع سابق، ج١، ص٣٤٩، ج٢، ص٩١). فقد حرص الرجل المؤمن على التنكير لتليين قلوب المخاطبين واستدراجهم إلى الاعتراف بشناعة الفعلة، فيكون الحكم عليه متسما بالإنصاف والموضوعيّة. وترى الباحثة أن في التنكير استلزاما حواريا اعتمده المؤمن ليلمح لهؤلاء المجادلين بالباطل أن المقصود بالحوار لا يعرفه، وأنه لا يجادل من أجل هذه المعرفة الشخصية، وإنما هو يجادلهم من أجل الحقيقة التي تتمثل في هذا الرجل.

ب–قصدية توجيه المخاطب:

يتضمن الاستفهام قوة توجيهية يقصد من ورائها تبكيت المخاطب، وتنبيهه لإدراك المراد من بنية السؤال، وإقامة الحجة عليه؛ كما في قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ (غافر:٨٢). فالسؤال يحمل المخاطب به على أخذ العبرة مما حدث للقرون السابقة، وذلك عبر بناء الاستفهام على الإنكار المفهوم من البداية بـ (أَفَلَمْ)؛ أي إنكار عدم السير في البلاد، والختام بالتحذير المفهوم من (كَيْفَ)؛

أي كيف لا يتعظون بما جرى للأمم الكافرة السالفة، وبهذا الترابط الدلالي بين الإنكار والتحذير تتولد دلالة حجاجية ثالثة هي التوبيخ من خلال الدعوة "للضرب في الأرض، والنظر والاعتبار بأحوال الماضين والتفكير في أسباب هلاكهم، فيضيف أسلوب الاستفهام التوبيخ لعدم السير والنظر، وتعطيل العقول والقلوب" (دراز، ١٩٨٦م، ص٢٧).

ثانيا: الحجاج في الأساليب الإنشائية غير الطلبية

١-أسلوب الرجاء:

الرجاء في اللغة: التوقع والأمل، وقد جاء معناه في لسان العرب، الرجاء من الأمل: نقيض اليأس، رجاه، يرجوه، رجوًا ورجاءً ورجاءة ومرجاة ورجاة (ابن منظور، ١/ ١١٣٨).

أما اصطلاحًا: فهو من أقسام الإنشاء غير الطلبي؛ وذلك لأن الرجاء ترقّب الحصول، مع الجهد والكد في عمله، وهذا بخلاف ما جاء في التمني، ويقترن الرجاء بلعل، فهو دالٌّ عليه (حسن، ١٩٧٨م، ١/ ٦٢٢).

وتعد الأداة (لعل) في بلاغة الحجاج الجديدة من الروابط المدرجة للحجج، وتكمن وظيفة الروابط المدرجة في تبرير الفعل وتعليله، فتربط بين النتيجة والحجة، ويأتي الرابط " لعل" بعد إلقاء النتيجة، وتجيء الحجة بعده لتعلل النتيجة.

ويعد الهدف الأساسي من التراكيب المعللة هو رد الحجاج المغالط الذي يستعين به المخاطب لتضليل المتكلم، ومن ثم التنصل من الحقيقة.

ويُعّرف مصطلح الحجاج المغالط بأنّه: "أفعال اللغة التي تعوق بوجه كيفما كان حلّ منازعة ما في سياق المحاورة... ففي هذا المنظور لا يعني ارتكاب حجاج مغالط ما إقدامًا على سلوكٍ مقدوح فيه أخلاقيًّا، ولكنّه يشكّل غلطًا من حيث كونه يعيق الجهود التي تُبذَل من أجل المحاورة" (رشيد، ٢٠٠٨م، ص ١٥٥).

ويستعين المخاطب بتقنية الحجاج المغالط بهدف تضليل الحقائق التي يواجهه بها المرسل في الحديث، ظنًّا منه أن تلك التقنية يمكن أن تقلب سير الكلام إلى جانبه؛ إذ إن في التوسل بالمغالطة في الحوار مع المتكلم من وجهة نظر المخاطب يحقق نتيجتين،

هما: الدفاع عن نفسه، وترك أثر إيجابي في نفسه كي لا يستسلم بسهولة إلى حجاج المرسل.

وبناء على ذلك، فإن رد هذا الحجاج يجبر المتكلم على حسن اختيار الحجة، وحسن ترتيبها من حيث القوة والنجاعة، "فتكون هذه الحجة في صورتها المثلى؛ حتى يسد المتكلم السبيل على السامعين، فلا يجدوا منفذا إلى استضعاف الحجة والخروج عن دائرة فعلها" (رشيد، ٢٠٠٨م، ص ١٥٥).

ومن أمثلة الحجاج المغالط القائم على التضليل في سورة غافر قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَاب﴾ [غافر:٣٦].

يمارس فرعون هنا سلطة الاستعلاء ويأمر وزيره ببناء صرح له، ساعيا من وراء ذلك إلى الاستهزاء بموسى والاستخفاف بما جاء به، وإني لأظن موسى كاذبًا في ادعائه بأن له إلها غيري" (الزحيلي، ١٤٢٢هـ، ج٣، ص ٢٢٧٤).

وفي استخدام البدل في قوله ﴿لَّعَلِّي أَبْلُغُ الأَسْبَابَ (٣٦) أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ﴾ تكرار يفيد التأكيد على سعي فرعون لتكذيب موسى عليه السلام، وإن دلّ ذلك على شيء، فإنما يدلّ من جهة أولى على يقينه بصحة ما جاء به موسى؛ لأن في إبهام كلمة الأسباب ثم توضيحها تفخيمًا لها (الرازي، مرجع سابق، ج٢٧، ص٥٩). ومن جهة ثانية فإن بلوغ الأسباب من الناحية المادية غير ممكن على فرعون، غير أن فرعون لم يستعمل صيغة التمني وإنما استخدم (لعل) التي تفيد تمني الممكن، وهذا يدل على أن فرعون أبرز ما لا يمكن في صورة الممكن تمويها على سامعيه، مستخدما الحجاج للتأثير على المتلقي.

والرغبة في الاطلاع على أسباب السماء هو في الحقيقة غاية سعى إليها فرعون للتأكيد على صحة دعواه، وحجاجه المغالط من خلال التماس أدلة حسية ملموسة؛ ولذلك قال احتراسا: وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا. وهو احتراس من أن يظن به أنه صدق موسى في دعوته، والاحتراس من الظن قد يكون لأحد سببين هما: أنه ما أراد بذلك إلا نفي ما ادعاه موسى بدليل الحس، وأما السبب الثاني فإنه أراد أن يظهر كذب موسى (ابن عاشور، مرجع سابق، ج٢٤، ص١٩٩).

ولذلك جاء التعقيب على موقفه المغالط بقوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلاَّ فِي تَبَابٍ﴾ (غافر: ٣٧). فالكيد ليس المراد به ظاهره، بل أريد به الإفضاء إلى إيهام قومه بكذب موسى عليه السلام (المرجع السابق، ج٢٤، ص ٢٠٠).

٢-أسلوب القسم:

ورد في معجم مقاييس اللغة دلالتين للقسم، هما: "الْقَافُ وَالسِّينُ وَالْمِيمُ أَصْلَانِ صَحِيحَانِ، يَدُلُّ أَحَدُهُمَا عَلَى جَمَالٍ وَحُسْنٍ وَالْآخَرُ عَلَى تَجْزِئَةِ شَيْءٍ" (ابن فارس، مرجع سابق، ٨٦/٥). والقسم في لسان العرب "مَصْدَرُ قَسَمَ الشيءَ يَقْسِمُه قَسْمًا فانْقَسَمَ... والقِسْم والمِقْسَم والقَسِيم نَصِيبُ الإنسان مِنَ الشَّيْءِ... والقَسَمُ، بِالتَّحْرِيكِ: الْيَمِينُ، وَقَدْ أَقْسَمَ بِاللَّهِ واسْتَقْسَمَه بِهِ وقَاسَمَه: حلَف لَهُ. وتَقَاسَمَ القومُ: تَحَالَفُوا. وَفِي التَّنْزِيلِ: قالُوا تَقاسَمُوا بِاللَّهِ. وأَقْسَمْت: حَلَفْتُ، وأَصله مِنَ القَسامة" (ابن منظور، مرجع سابق، ٤٧٨/١٢- ٤٨١). وقد فسر الرازي العلاقة بين الحلف ودلالة الاقتسام في قوله: "وَلَمَّا كَانَتِ الْحَاجَةُ إِلَى ذِكْرِ الْحَلِفِ إِنَّمَا تَحْصُلُ عِنْدَ انْقِسَامِ النَّاسِ عِنْدَ سَمَاعِ ذَلِكَ الْخَبَرِ إِلَى مُصَدِّقٍ بِهِ وَمُكَذِّبٍ بِهِ. سَمَّوُا الْحَلِفَ بِالْقَسَمِ وَبَنَوْا تِلْكَ الصِّيغَةَ عَلَى- أَفْعَلَ- فَقَالُوا: أَقْسَمَ فُلَانٌ يُقْسِمُ إِقْسَامًا: وَأَرَادُوا أَنَّهُ أَكَّدَ الْقَسَمَ الَّذِي اخْتَارَهُ وَأَحَالَ الصِّدْقَ إِلَى الْقَسَمِ الَّذِي اخْتَارَهُ بِوَاسِطَةِ الْحَلِفِ وَالْيَمِينِ" (الرازي، مرجع سابق، ١٢٢/١٣).

وقال سيبويه في تعريف القسم: "واعلم أن القسم توكيد لكلامك" (سيبويه، ١٩٨٨م، ١٠٤/٣). ويعرفه ابن سيده بالإشارة إلى بنية القسم التركيبية وأقسامه بقوله: "اعْلَم أَن القَسَم هُوَ يَمِين يُقسِم بهَا الْحَالِف ليؤكد بهَا شَيْئا يُخبر عَنهُ من إِيجَاب أَو جحد وَهُوَ جملَة يُؤَكد بهَا جملَة أُخْرَى فالجملة المؤكَّدة هِيَ المُقْسَم عَلَيْهِ وَالْجُمْلَة المؤكِّدة هِيَ القسَم وَالِاسْم الَّذِي يدْخل عَلَيْهِ حرف القسَم هُوَ المُقْسَم بِهِ" (ابن سيده، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م، ٧١/٤).

ويشرح ابن يعيش هذه البنية بقوله: "هو جملة فعلية أو اسمية تؤكد بها جملة موجبة أو منفية... ومن شأن الجملتين أن تتنزلا منزلة جملة واحدة كجملتي الشرط والجزاء... فالجملة المؤكد بها هي القسم، والمؤكدة هي القسم عليها، والاسم الذي يلصق به القسم ليعظم به ويفخم هو المقسم به" (ابن يعيش، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م، ٢٤٤/٥).

وقال ابن يعيش في غرضه ودلالته: "اعلم أنّ الغرض من القسم توكيدُ ما يُقْسَم عليه من نفي أو إثباتٍ، كقولك:" وَاللَّهِ لأقومنّ"، و"وَاللَّهِ لا أقومنّ". إنّما أكّدتَ خبرك لتُزِيل الشكّ عن المخاطب" (ابن يعيش، ٥/٢٤٤).

ففي قوله تعالى: ﴿**لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ**﴾ (غافر:٥٧)، فقد وقع القسم بلام القسم في **(لَخَلْقُ)** في سياق العامل الحجاجي الاستدراكي (لكنَّ)، ويتلخص دور العامل الحجاجي في الخطاب في كونه يعمل على زيادة القوة الحجاجية له، وذلك "ببناء حجة تسند إلى علاقة ترتكز إلى مشتركات بين المرسل والمتلقي، مما يعطي للقول قيمة حجاجية بسبب دعم العامل له، فيكون منشطا للقضية المراد الاحتجاج لها" (كاظم، ٢٠١٥م، ص١٠٣)؛ إذ يتصل بمكونات الخطاب اللغوية لتوجيه مقاصده نحو التأثير في المتلقي والوصول إلى إقناعه.

و"لكنّ" بتشديد النون: حرف ينصب الِاسْم وَيرْفَع الْخَبَر وَفِي مَعْنَاهَا ثَلَاثَة أَقْوَال، أَحدهَا وَهُوَ الْمَشْهُور أَنه وَاحِد وَهُوَ الِاسْتِدْرَاك، وَفسّر بِأَن تنْسب لما بعْدهَا حكما مُخَالفا لحكم مَا قبلهَا وَلذَلِك لَابُد أَن يتقدمها كَلَام مُنَاقض لما بعْدهَا، نَحْو مَا هَذَا سَاكِنا لكنه متحرك، أَو ضد لَهُ، نَحْو مَا هَذَا أَبيض لكنه أسود (الأنصاري، ١٩٨٥م، ص ٣٨٣).

وقد جاءت لكن لنفي كلام وإثبات غيره، يقول الرماني: "تقع لكن بين كلامين لما فيها من نفي وإثبات لغيره، فهي تتوسط بين كلامين متغايرين نفيا وإيجابا يستدرك بها النفي بالإيجاب، والإيجاب بالنفي (الرماني، ص ١٦٩).

وفي الآية الكريمة يأتي الخطاب الإلهي عاما شاملا لكل العباد، سواء كانوا مؤمنين أو كافرين؛ ولذلك جاء بلفظ (الناس)، وقد ورد مباشرة تاليا لإثبات عقم جدال الكافرين في آيات الله الواضحة الجلية، وفي هذا ربط سياقي بين الآيتين لإثبات غاية حجاجية واحدة، وهي ذم جدالهم، وقد بدأ هذه الآية بلام القسم التي تفيد التأكيد على أنه لا قيمة لجدالهم، أما عظمة خلق السماوات والأرض، في مقابل خلق الناس.

فالله عز وجل يتحدى الناس جميعا في إدراكهم كيفية خلقه، أو إدراك ضخامته من مجرد الرؤية الحسية القاصرة، وهذا يستلزم ضآلة آرائهم التابعة لضآلة رؤيتهم؛ ومن ثم

جاء الاستدراك في هذه الآية ﴿**وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ**﴾ ليؤكد تلك الحقيقة، وهي الإخبار عن غفلة المنكرين.

وفي قوله تعالى التالي: ﴿**إِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يُؤْمِنُونَ**﴾ (غافر: ٥٩). تجمع دلالة الآية بين الخطابين السابقين في سياق واحد، هما: الوعيد، وذم الجدال؛ إذ يظهر الحجاج هنا من خلال التأكيد الوارد في قوله: ﴿**إِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا**﴾. إذ يحمل وعيدا للجزاء الذي ينتظر هؤلاء المجادلين بالباطل، كفرا وعنادا، "فَمَوْقِعُ الِاسْتِدْرَاكِ الَّذِي فِي قَوْلِهِ: وَلكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ هُوَ مَا يُثِيرُهُ نَفْيُ الرَّيْبِ عَنْ وُقُوعِهَا مِنْ أَنْ يَتَسَاءَلَ مُتَسَائِلٌ كَيْفَ يَنْفِي الرَّيْبَ عَنْهَا وَالرَّيْبُ حَاصِلٌ لِكَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ، فَكَانَ الِاسْتِدْرَاكُ بِقَوْلِهِ: وَلكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ جَوَابًا لِذَلِكَ السُّؤَالِ. وَالْمَعْنَى: وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ يَمُرُّونَ بِالْأَدِلَّةِ وَالْآيَاتِ وَهُمْ مُعْرِضُونَ عَنْ دَلَالَتِهَا فَيَبْقَوْنَ غَيْرَ مُؤْمِنِينَ بِمَدْلُولَاتِهَا وَلَوْ تَأَمَّلُوا وَاسْتَنْبَطُوا بِعُقُولِهِمْ لَظَهَرَ لَهُمْ مِنَ الْأَدِلَّةِ مَا يُؤْمِنُونَ بَعْدَهُ، فَلِذَلِكَ نُفِيَ عَنْهُمْ هُنَا وَصْفُ الْإِيمَانِ". (ابن عاشور، مرجع سابق، ج٢٤، ص ١٨٠).

وتأتي لام القسم حاملة لمعنى التهكم والتوبيخ، وقد ورد هذا السياق في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ﴾ (غافر: ١٠). فالمركز الدلالي للتوكيد في الآية يكمن في النداء الواقع من خزنة جهنم ببغض الله ومقته للذين كفروا؛ توبيخًا لهم وتقريعًا (أبو حيان، ج٧، ص٤٢٥). وقد تصدرت الجملة أداة التوكيد (إن) تقويةً لما يشتمل عليه الخبر من المضمون، المتمثل في إلصاق مقت الله الأكبر بهم، "وفيه حذف تقديره: لمقت الله إياكم، وتقديم وتأخير، والمعنى لمقت الله لكم حال ما تُدعَون إلى الإيمان فتكفرون أكبر من مقتكم أنفسكم" (الرازي، مرجع سابق، ج٢٧، ص٣٨). وفي استعمال (المقت) تعزيز لدلالة التوبيخ؛ لأن المقت يدل على "البغض الشديد لمن تراه تعاطى القبيح" (الأصفهاني، ١٤١٢هـ، ص ٧١٤، ٧١٥). وهو في رأي ابن عاشور مستعار لقلة التدبر فيما يضر، وهو مجاز أطلق على المعاملة بآثار البغض من التحقير والبغض والتوبيخ لهم (ابن عاشور، مرجع سابق، ج٢٤، ص٩٥، ٩٦).

وتستخدم سورة غافر التوكيد عبر (أن واللام) لتحقيق قصدية التحقق وإقامة الحجة على المنكر. كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (غافر:٥٩). وفي بناء جملة التوكيد على هذا النسق يقرر الزركشي أن اللام "إذا جاءت مع إن كان بمنزلة تكرار الجملة ثلاث مرات؛ لأن (إن) أفادت التكرير مرتين، فإن دخلت اللام صارت ثلاثا" (الزركشي، ١٣٧٦ هـ-١٩٥٧م، ج٢، ص٤٠٨). وفي الآية الكريمة "جيء باسم الفاعل في (آتية) الذي هو حقيقة في الحال، للإيماء إلى أنها لما تحققت فقد صارت كالشيء الحاضر المشاهد. والمراد تحقيق وقوعها لا الإخبار عن وقوعها" (ابن عاشور، مرجع سابق، ج٢٤، ص ١٨٠).

وترى الباحثة أن التوكيد في الآية قد دخل لإقامة الحجة على المخاطب المنكر لقضية عقدية حاسمة، وهي قضية البعث؛ ومن ثم فالتأكيد هنا له حضور إلزامي لقوته الحجاجية في تحقق المعنى المؤكد، وهو معنى إثبات البعث، أي أن التأكيد أراد أن يقيم الحجة على الكافر أن يجعله يسلم أن قيام الساعة هو أمر محقق لا مجال للشك فيه، هذا من جانب أول؛ إذ إن "تأكيد الخبر ب (إنَّ) ولام الابتداء لزيادة التحقيق" (ابن عاشور، مرجع سابق، ج٢٤، ص١٨٠).

ومن جانب ثانٍ **ترى الباحثة** أن هذا التحقق والإثبات الموجه للمخاطب يحمل قوة حجاجية مضمّنة، وهي التهديد، أي تهديد هذا المخاطب إن لم يؤمن بما هو ثابت ومحقق.

الخاتمة

إن شأن سورة غافر هو شأن السور المكية؛ لأنها تعنى بأمور العقيدة، ويكاد يكون مقصد السورة الأهم هو الكشف عن الصراع بين الحق والباطل والهدى والضلال؛ إذ تعرض السورة الكريمة صورة الطغيان الذي وصل حد الاستكبار، وادعاء الألوهية، ودعوة المستضعفين إلى عبادة شخص وصفوه بالإله من دون الله، فتأتي السورة على ذكر قصة مؤمن آل فرعون الذي تمرد على قومه، وواجههم بأسلوب قوي فاعل يتميز بالصلابة، والحكمة والتحدي؛ لتقدم نموذجًا لحملة الرسالات التي تدعو إلى الحق والعدل ليزدادوا قوة وحكمة، وقد اشتملت السورة الكريمة على سياقات دلالية عدة تميزت بأسلوب الحجاج والاستدلال على صدق القرآن، وأنه من عند الله سبحانه وتعالى، وإبطال كذب المكذبين وضرب مثلهم بالأمم المكذبة، لترهيبهم من التمادي في الكفر والضلال؛ لتبصيرهم بالحق. واشتملت السورة الكريمة على سياقات تتضمن ذكر الثناء على المؤمنين، وتحذير الكافرين مما هم صائرون إليه من العذاب والندم، والتفريق بين حال المؤمنين وثوابهم، وحال الكافرين وثوابهم في الآخرة، وتثبيت المؤمنين على الإيمان.

النتائج:

- يتداخل مفهوم الحجاج مع مفاهيم أخرى؛ كالحوار والخطاب والمناظرة والاتصال، وقد برز هذا التداخل مع تبلور الاتجاه التداولي في دراسة اللغة، الذي لفت إلى تأثير المتكلم في الدلالة، والاهتمام بالمقاصد الحقيقية للغة.
- مثل الحوار في سورة غافر آلية تواصلية حجاجية يسعى المتحاورون من خلالها إلى توصيل الأفكار، وإقناع الطرف الآخر وتسليمه بها، شرط أن يقوم الحوار على الصدق والنزاهة والوضوح، وهو شرط مسبق ولازم لتحقيق الفهم المتبادل والاقتناع.
- اعتمد الحوار في الأساليب الإنشائية في السورة الكريمة على مبدأ التصاعد التدريجي؛ إذ تُستدعى من خلال إستراتيجياته الموظفة الحجة من طرف المتكلم لإقناع المخاطب بمضمون الكلام، ومن طرف هذا المخاطب لدحضها وعدم الإذعان لمدلولها.

- كان الحجاج هو الإستراتيجية الحوارية الأبرز في الأساليب الإنشائية في هذه السورة، كما أنها أكثر الأدوات فاعلية في عملية الإقناع؛ لأنه حوار تفاعلي يقوم على علاقتين، هما: الاستدلال، والجدل.
- شكَّل التركيز على القضايا المشتركة بين المتحاورين أسلوبا حجاجيا في الأساليب الإنشائية في سورة غافر، خاصة في حوار مؤمن آل فرعون مع قومه، حيث يمس هذا الأسلوب الحجاجي قيمة الوعي بالمصير المشترك، من خلال الدعوة للتكامل والتعاون مع الآخر المعارض والمخالف؛ من أجل الوصول إلى العقيدة الصحيحة والانقياد لله تعالى.
- كشفت الدراسة عن أن الحجاج هو المقصد المركزي والرئيس الذي تسعى إلى تحقيقه الإستراتيجيات الخطابية في الأساليب الإنشائية باختلاف وسائلها وآلياتها في خطاب سورة غافر، وقد كشفت الدراسة عن تنوع المقاصد الحجاجية في خطاب السورة بتنوع بنيات الحوار اللغوية وإستراتيجياته، مع الاستدلال على ذلك بأمثلة حوارية في السورة الكريمة.
- استخلصت الدراسة صورًا متعددة لآداب الحوار الحجاجي في الأساليب الإنشائية في سورة غافر، كان من أبرزها:

أ- استعمال الحكمة وأسلوب التذكير والعظة من التسليم لأمر الله تعالى، ولم تكن الحكمة متضمنة فيما ينقل إلى المخاطب من مضمون فقط، بل كانت أيضا في كيفية جعل المخاطب حريصا على السماع، وتقبل هذه الحكمة وفهمها.

ب-الكلام الحسن وتجنب السخرية والتهكم، ويدخل فيه أيضا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكذلك الحلم والعفو والصفح.

ج- استعمال خطاب الملاطفة والرفق ابتغاء كسب ثقة المخاطب، وذلك من شأنه أن يجذب الطرف الآخر، ويجعله أكثر استعدادًا للإصغاء، والقبول والاقتناع.

د- الالتزام بموضوع الحوار، في مقابل المغالطة التي كان يستعملها الطرف الآخر من الحوار، وهو ما قام به فرعون حين أراد أن يقنع قومه بقتل موسى عليه السلام.

هـ-تقدير الخصم واحترامه؛ إذ يؤسس ذلك الأمر لإقامة التواصل في الحوار واستمراريته، ونجاح فاعلية التواصل بين المتكلم والمخاطب؛ وذلك بهدف الوصول إلى الغاية من الحوار.

و- أن يكون الهدف من الحوار هو الوصول إلى الحقيقة، ويرتبط تحقيق هذا الهدف باستعمال الجدل المحمود، بما يستلزمه من أدوات منطقية عقلية، وسبل استدلالية استنباطية.

قائمة المصادر والمراجع

- الأصفهاني، الراغب، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية، دمشق بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.
- الأمين، محمد سالم محمد، الحجاج في البلاغة المعاصرة، دار الكتاب الجديد المتّحدة، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨م.
- الأندلسي، أبو حيان، البحر المحيط في التفسير، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، شارك في التحقيق زكريا عبد المجيد النوقي وأحمد النجولي الجمل، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.
- الأنصاري، جمال الدين بن هشام، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق: د. مازن المبارك؛ محمد علي حمد الله، دار الفكر، دمشق، الطبعة السادسة، ١٩٨٥م.
- البقاعي، برهان الدين، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، د.ت.
- التفتازاني، سعد الدين، شروح التلخيص، دار السرور، بيروت، ٢٠١٩م.
- التهانوي، محمد بن علي، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تحقيق: علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م.
- الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز، تحقيق: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الخامسة، ٢٠٠٤م.
- ابن جني، أبو الفتح عثمان، الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، الهيئة العامة لقصور الثقافة، سلسلة الذخائر رقم: ١٤٦، طبعة مصورة عن دار الكتب المصرية، القاهرة، ٢٠٠٦م.
- الجوزية، ابن قيم، التبيان في أقسام القرآن، تحقيق: علي محمد دندل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م.

– الحباشة، صابر، التداولية والحجاج، مداخل ونصوص، صفحات للدراسات والنشر، دمشق– سوريا، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨م.

– حبيب، أعراب، الحجاج والاستدلال الحجاجي، مجلة عالم الفكر، الكويت، عدد يوليو ٢٠٠١م.

– حسن، عباس، النحو الوافي، دار المعارف، القاهرة، ط٨، ١٩٨٨م.

– دراز، صباح، الأساليب الإنشائية وأسرارها البلاغية في القرآن الكريم، مطبعة الأمانة، ١٩٨٦م.

– رشيد، الراضي، رشيد الحِجَاجيات اللسانية والمنهجية النبوية، مقال ضمن مؤلفات الحِجَاج مفهومه ومجالَاته إعداد وتقديم: حافظ إسماعيل العلوي، د. ت.

– رشيد، الراضي، السفسطات في المنطقيات المعاصرة، التوجه التداولي الجدلي نموذجا، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، مجلد ٣٦، عدد٤، يونيو ٢٠٠٨م.

– الرازي، فخر الدين، التفسير الكبير، مفاتيح الغيب، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨١م.

– رزقي، الطيب، البنية الحجاجية في كتاب (اللؤلؤ والمؤجان فيما اتفق عليه الشيخان) أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه العلوم في اللغويات، الجزائر، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة الإخوة منتوري – قسنطينة، كلية الآداب واللغات، قسم الآداب واللغة العربية، ٢٠١٨م.

– الرماني، أبو الحسن، معاني الحروف، تحقيق عبد الفتاح شلبي، دار الشروق، جدة– السعودية، الطبعة الثانية، ١٩٨١م.

– روبول، آن – موشلار، جاك، التداولية اليوم، علم جديد في التواصل، ترجمة سيف الدين دغفوس – محمد السيباني، المنظمة العربية للترجمة، بيروت لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣م.

- روبول، آن – موشلار، جاك، القاموس الموسوعي للتداولية، ترجمة مجموعة من الباحثين تحت إشراف: عز الدين المجدوب، المركز الوطني للترجمة، تونس، د ط، د ت.
- الزحيلي، وهبة بن مصطفى، التفسير الوسيط، دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.
- الزركشي، بدر الدين، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه، الطبعة الأولى، ١٣٧٦هـ-١٩٥٧م.
- الزمخشري، محمود بن عمرو بن أحمد، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي، بيروت الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ.
- السكاكي، أبو يعقوب، مفتاح العلوم، تحقيق نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة الثانية (١٩٨٧م).
- الشهري، عبد الهادي بن ظافر، إستراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤م.
- شوقار، أحمد حامد محمد، الأساليب الدعوية في سورة غافر، رسالة ماجستير من كلية الدراسات العليا بجامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية بأم درمان، جمهورية السودان، ٢٠٠٢م.
- الصالح، صبحي، مباحث في علوم القرآن، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة العاشرة، ١٩٧٧م.
- صولة، عبد الله، الحجاج: أطره ومنطلقاته، ضمن كتاب: أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية، طبعة جامعة منوبة، تونس، د.ت.
- صولة، عبد الله، الحجاج من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، دار الفارابي، بيروت، الطبعة الثانية، ٢٠٠٧م.
- عادل، عبد اللطيف، بلاغة الإقناع في المناظرة، منشورات الاختلاف، الجزائر، منشورات ضفاف، بيروت لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠١٣م.

- ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤هـ.
- عبد الرحمن، طه، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الثانية، ٢٠٠٢م.
- عبد الرحمن، طه، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م.
- عبد الصمد، غالم، استراتيجيات الخطاب الإقناعي في بخلاء الجاحظ، رسالة مقدمة لنيل شهادة ماجستير في الأدب العربي تخصص: نظريّة الأدب والمناهج النقديّة المعاصرة، جامعة جيلالي ليباس، الجزائر، ٢٠١٦-٢٠١٧م.
- عبد المجيد، جميل، البلاغة والاتصال، دار غريب، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م.
- عبد المطلب، محمد، الحوارات القرآنية قراءة حجاجية، دار النابغة للطبع والنشر، مصر، الطبعة الأولى، ٢٠٢١م.
- العبد، محمد، تعديل القوة الإنجازية، مجلة فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، العدد ٦٥، ٢٠٠٤م.
- العبد، محمد، النص الحجاجي العربي، دراسة في وسائل الإقناع، مجلة فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ع٦٠، ٢٠٠٢م.
- العزاوي، أبو بكر، اللغة والحجاج، العمدة في الطبع، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى، ٢٠٠٦م.
- عشير، عبد السلام، عندما نتواصل نغير مقاربة لآليّات التواصل والحجاج، دار أفريقيا الشرق، المغرب، د. ط، ٢٠٠٦م.
- العلوي، يحيى بن حمزة، الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، المكتبة العنصرية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ.
- العمادي، أبو السعود، تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د. ت.

- ابن فارس، أحمد، الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، منشورات محمد علي بيضون، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.
- ابن فارس، أحمد، معجم مقاييس اللغة، المحقق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
- الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، المحقق: محمد علي النجار المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ١٩٩٦م.
- القزويني، جلال الدين، الإيضاح في علوم البلاغة، تحقيق عبد القادر حسين، مكتبة الآداب، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م.
- كاظم، مثنى، أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي، منشورات ضفاف، دار الأمان، الجزائر، الطبعة الأولى، ٢٠١٥م.
- المجاشعي، علي بن فضال، النكت في القرآن الكريم، في معاني القرآن الكريم وإعرابه، دراسة وتحقيق: د. عبد الله عبد القادر الطويل، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.
- محمود، عبد الكريم، أسلوب الاستفهام في القرآن الكريم، مطبعة الشام، دمشق سوريا، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م.
- ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ١٤١٤هـ.
- أبو موسى، محمد، دلالات التراكيب، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـ.
- نحلة، محمود أحمد، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجديدة، مصر، ٢٠٠٢م.
- الهاشمي السيد أحمد، جواهر البلاغة والبيان والبديع، ضبط وتدقيق وتوثيق د. يوسف الصميلي، المكتبة العصرية صيدا – بيروت، ص٧٠.
- ابن يعيش، موفق الدين أبو البقاء، شرح المفصل للزمخشري، تقديم: إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م.